

أ - بين كتب « الحديث » وكتب « النقد »

اقتبس ابن سلام لكتابه اسما جامعا للرواية بطرفها ، دينية وأدبية ، لرواية الحديث من اسم الكتاب نصيب ، وهو لفظ « الطبقات » ولرواية الشعر أيضا نصيب وهو لفظ « الشعراء » .

وإذا كان علم الحديث ، وفن الشعر قد عاشا شبه متلازمين في صدور العرب ، فإن الحديث وعلمه قد نال القسط الأكبر من عناية المسلمين ورعايتهم ، فانصرفوا له مولينه اهتمامهم الشديدة مجتهدين له كل طاقاتهم ومعارفهم حتى نضج واحترق ، كما يقول الزركشي^(١) ، وأستوى عملاقا ذا تاريخ عريق عميق .

ودراسة الطريق الذي سلكه حديث رسول الله ﷺ ، سَتَسْلِمُنَا إِلَى الضَّرُورَةِ التي أرغمت العلماء أن يضعوا رِوَاةَ الحديث في طبقات ، ويبحثوا عنهم ، ويدققوا في البحث والمعرفة ، وذلك عن طريق الإسناد وفحصه والحكم له أو عليه ، حتى جعلوا الإسنادَ عَالِيَةً وَنَازِلَةً ، كأنه علم الأخلاق التاريخي^(٢)

لكن ماصلة الشعر العربي بهذا التيار ؟ الشعر كان جُلَّهُ في الصدور ، وانتشر في الأمصار وعاصر مشكلات العرب السياسية والاجتماعية والنفسية ، وظهر فيه الوضع والانتحال ، وزيَّفَةُ الرواة والمغرضون ، وقام العلماء الرواة يصدون عنه ويلات الوضع والانتحال والتزييف ، فنظروا في الإسناد واهتموا به ونظروا في الرواة وحياتهم ، حتى انتهى الأمر بابن سلام الجمحي وزملائه إلى التأليف في طبقات الشعراء .

وكثير من الأدباء درسوا الحديث ، وكثير من المحدثين تذوقوا الشعر وَرَوَوْهُ^(٣) .

(١) السيوطي : الأتباء والظائر : ط حيدر آباد الدكن - ١٣١٦ هـ (٥/١)

(٢) انظر في ذلك : العسقلاني : في فتح الباري ١/١٩٥ ، ط الحلبي ١٩٥٩ م وابن خلدون الراهبزمي : أبو القاسم البلخي - قبول الأخبار ومعرفة الرجال ص ٩ مخطوط ديار الكتب - البخاري : الصحيح بحاشية السندی : ٥٢/٤ ، وكتاب الأستاذ محمد عجاج الخطيب : السنة قبل التدوين : وماورد فيه من مصادر ، وكتاب الأستاذ الراهبي : تاريخ آداب اللغة العربية ٢٩٧/١

(٣) قال مطرف : حرحت مع عمران بن الحصين (صحابي توفي ٥٢ هـ) من الكوفة إلى الصرة فما أتى علينا يوم إلا ينشدنا فيه بشعر ويقول : إن لكم في المعارض لمذوحة عن الكذب (ابن سعد